الملك رمسيس الثاني
أعظم ملوك العالم

المهندس . إبراهيم محلب
رئيس مجلس إدارة شركة
المقاولون العرب . عثمان احمد
عثمان وشركاه

ا.د. عبد الحليم نور الدين
أستاذ اللغة المصرية القديمة
جامعة القاهرة مستشار مدير المكتبة

أعظم ملوك مصر القديمة، ومن أعظم ملوك العالم القديم. فرض اسمه على أسماع الدنيا قديماً وحديثاً، وحقق ما لم يحققه ملك من قبل عسكريًا ومعماريًا، ونال من الشهرة ما جعل اسمه يتردد على كل لسان على امتداد الحضارة المصرية القديمة.

استقبلت مومياؤه عندما وصلت إلى باريس استقبال الملوك حيث أطلِقت إحدى وعشرون طلقة تحيةً له وإعزازاً كملك مصري يزور فرنسا وكان ذلك في عهد الرئيس الراحل أنور السادات والرئيس جيسكار ديستان، وقد أطلق اسمه على أهم شوارع وميادين القاهرة، وما إن تخرج بعض آثاره خارج مصر حتى يصبح حديث الناس في كل مكان وهو واحد من قلائل ممن تميزوا في أشياء عدة، فهو من القلائل الذين حكموا فترات زمنية طويلة ما يقرب من 67عامًا ، وهو صاحب أكبر عدد من الأبناء (ما يقرب من 65 ولداً وبنتاً)، وهو زوج للملكة الشهيرة نفرتا ري، وصاحب أضخم تمثال نحتته يد البشر في أي زمان ومكان، والكائن في الرامسيوم وزنه ما يقرب من 1000 طن، وهو صاحب أهم المومياوات من حيث تقنية التحنيط، وصاحب أضخم معبد منحوت في الصخر .. معبد أبي سمبل، وأكبر عدد من المعابد في بلاد النوبة، وأضخم صالة أعمدة في مصر بمعبد الكرنك. ويكاد يكون الملك المصري الوحيد الذي ترك لنفسه أثراً في كل مكان على أرض مصر.

خاض واحدة من أشهر المعارك في تاريخ العالم القديم "قادش" وصاحب أشهر معاهدة سلام في التاريخ، تلك التي عقدها مع ملك الحيثيين 'خاتوسيلى'، والمسجلة على جدران معبد الكرنك. وارتبط

اسمه بحدث خروج بني إسرائيل وسيدنا موسى عليه السلام من مصر، ولكن ليس هناك ما يؤكد حتى الآن صلة الملك رمسيس بهذا الحدث. وهو صاحب تمثال رمسيس الشهير الذي تم نقله من ميدان رمسيس إلى المتحف "المصري الكبير" الجديد والذي أثار نقله جدلاً شديداً.

تعلم رمسيس الثاني كوليّ للعهد الكثير من صفات أبيه : الملك العظيم سيتي الأول، ونهج نهجه في التعامل مع القضايا الداخلية والخارجية، وأدرك مسئوليته في تحقيق الأمن والاستقرار للبلاد، وفى نفس الوقت في تأكيد سيطرة مصر على كل أطراف الإمبراطورية.

وتعبيراً عن وفائه لأبيه أخذ يستكمل منشآته في الكرنك وأبيدوس وغيرها، كما استمر على نهج سياسة أبيه في استثمار المناجم و المحاجر، وبعد أن تحقق له ما أراد في هذا الميدان اتجه نحو الشرق، نحو مملكة "خيتا" التي ما توقفت عن تحريض حكام الولايات التابعة لمصر ليؤكد يقظة الملك المصري، فذهب على رأس حملة لتأكيد الوجود المصري، كان ذلك في العام الرابع من حكمه، غير أنه اضطر للعودة مرة أخرى في العام الخامس من حكمة ليقود معركته الشهيرة مع الحيثيين في قادش. كان الملك الحيثي "موتلي" قد استمال إلى جانبه بعض حكام الولايات المناوئة لمصر والطامحة في الخروج على سلطان الملك المصري. ولهذا أعد جيشاً قوياً جمعه من كل هذه الولايات، ومن الجنود المرتزقة من جزر بحر إيجة، وتقدم الملك الحيثي إلى قادش التي تعتبر بمثابة بوابة سوريا الشمالية. وعلى الجانب الآخر، أعد الملك رمسيس العدة لملاقاة جيش الحيثيين ومعه أربع فرق تحمل أسماء: "آمون"، "پتاح"، "رع"، و"ست". سار رمسيس على الطريق الحربي التقليدي واتجه شمالاً نحو الشاطئ السوري، وظل يتوغل إلى أن وصل وادي نهر العاصي. وتذكر النصوص أن بعض الجنود من الجيش المصري نجحوا في القبض على جاسوسين من بدو 'الشاسو'، كان موتلي قد كلفهما بالتجسس على الجيش المصري، وأثناء تأديبهما للإدلاء بمعلومات عن الجيش الحيثي أدليا بمعلومات مضللة عن حقيقة موقع وتحصين وعدد جيش الحيثيين.

والظاهر أن رمسيس قد خُدِعَ بما ذكراه، واتجه إلى حيث حددا موقع جيش الحيثيين، وكانت معه "فرقة آمون" فقط ، واتجه جيش رمسيس إلى الموقع الذي حدده الجاسوسان، في الوقت الذي كانت فيه جيوش الحيثيين تتحصّن في موقع آخر، وقاموا بمناورة ونجحوا في الانقضاض على "فرقة رع" التي كانت على مقربة من "فرقة آمون"، وأصيبت "فرقة رع" بالفزع واضطرت للهرب.

وأخذ رمسيس يجمع شتات جنوده ويطلب مدداً من الفرق الأخرى، كما نعلم من نصوص هذه المعركة التي سجلت على جدران معابد الأقصر، الكرنك، الرمسيوم، وأبي سمبل وغيرها. وتذكر هذه النصوص التي تُعرف ـ في أحد نسخها ـ باسم "قصيدة بنتاؤور" أن رمسيس صمد في القتال إلى أن استجمعت الفرق المصاحبة له قواها وعادت إليها الشجاعة لتنطلق من جديد وتلتحم مع العدو، وتدور معركة من أقوى معارك التاريخ القديم.

وقد تولى العرش من بعده ابنه مرن پتاح، الملك الذي كان قد أُختير كوليّ للعهد في العام الخامس والخمسين من حكم والده. والمعروف أنه الابن الثالث عشر في ترتيب أبناء رمسيس الثاني.

وقبل إن أنهي حديثي عن رمسيس الثاني الذي يعتبر بحق من أعظم ملوك العالم القديم، أود أن أشير إلى ما يردده البعض من أن هذا الملك العظيم كان يسلب آثار من سبقوه بكشط أسمائهم ووضع اسمه بدلا من أسمائهم. والواقع أن هذا القول غير صحيح، فالملك رمسيس الثاني الذي ملأ الدنيا بأخباره وانتصاراته والذي دانت له الدنيا لم يُفكر في سلب آثار أجداده.

إننا لو أمعنا النظر في آثار الآخرين التي نقش عليها رمسيس الثاني اسمه، وفهمنا النصوص الهيروغليفية المصاحبة، لتأكدنا أن رمسيس الثاني كان مُجدِّداً و مرمماً، بل كان وفياً لمن سبقوه، ومن ثمَّ فقد كان حريصاً على استكمال منشآتهم التي لم تكن قد انتهت في حياتهم أو ترميم ما كان قد تهدم. وأظن أنه مِن حق مَن أضاف أو جدّدَ أو رمّمَ أن يُسجل اسمه تخليداً لعمله، وهذه هي حال المنشآت التي حملت اسم هذا الملك والتي شيدت في عهود من سبقوه.